الأزمة البترولية وتداعياتها

مقدمة:

كان النفط ولا يزال مصدرا أساسيا في تغيير العلاقات بين الدول وهذا ما يفسر الاهتمام الكبير به منذ اكتشافه ،فقد استعمله الإنسان منذ سالف الأزمان بصورة محدودة ، ومع التطور التكنولوجي أصبح لهذا الذهب الأسود الدور الكبير في تشكيل معالم الخريطة الاقتصادية العالمية بكونه سلعة نادرة ومحدودة ، والصناعة الأولى في العالم ، كما يعد شريان الحياة لكثير القطاعات والقوة المحركة للتقدم الصناعي والتطور لتكنولوجي في العالم، فهذه المادة يمكن أن تكون سببا في تقدم الدول أو التأخر كما يمكن أن تكون عاملا من عوامل التوتر وعدم الاستقرار بين الدول، كما تحول القوى الاقتصادية الاستعمارية من قوى استعمارية إلى قوى استثمارية ،فهذا التنافس القوي بين القوى الكبرى أثر بصورة مباشرة وغير مباشرة على الدول المنتجة لهذه المادة الحيوية.

مفهوم الأزمة البترولية:

مفهوم كلمة بترول : وتستمد كلمة البترول أصلها من اللغة اللاتينية وتعني زيت الصخر petr صخر +زيت huile والبترول مادة بسيطة ومركبة فهو مادة بسيطة لأنه يحتوي كيماويا على عنصرين فقط هما الهيدروجين والكربون ؛ وهو بنفس الوقت مادة مركبة لأن مشتقاته تختلف باختلاف التركيب الجزيئي لكل منهما ،فالبترول يتكون من خليط من المواد الهيدروكربونية المتقاربة التي يمكن أن تتحد في أشكال عديدة في تركيبها الجزئي فينتج عنها في كل حالة منتوج بترولي ذو خصائص تختلف عن المنتجات الأخرى[1] أما فيما يخص موقعه من الموارد الاقتصادية فهو مورد اقتصادي طبيعي طارئ أو فاني لأنه يتمتع بمخزون أو احتياطي غير متجدد ,ولا يترك بعد استعماله الأول أي أمل في استعماله مرة أخرى. ويعرف أيضا أنه سائل يتكون من الهيد رو كربونات بشكل أساسي ونسب قليلة من النيتروجين والأوكسجين و الكبريت ، كل هذه المكونات تتجمع في باطن الأرض منذ آلاف السنين وبفعل العوامل الطبيعية مثل الكسور الأرضية والفوالق الأرضية والشقوق تخرج إلى سطح الأرض ، أو بفعل الإنسان من خلال حفر آبار النفط ،النفط يوجد

[1] احمد رمضان شقلية **"النفط العربي وصناعة تكريره "**دار تهامة للنشر ؛جدة ط 1980؛ص 31

بعدة حالات إما بالحالة الصلبة أو بالحالة شبه الصلبة بالإضافة إلى وجوده بحالة سائلة مثل خام النفط وفي حالة غازية.[2]

مفهوم الأزمة: بالرغم من عدم وجود مفهوم محدد لمفردة الأزمة إلا أن معظم المفاهيم المقدمة لها منحدرة من الكلمة الفرنسي crise التي تنحدر بدورها من اليونانية وتكتب عادة krisis وفقا لحروف اللاتينية حيث ظهرت في القرن الرابع عشر للميلاد ضمن الأدبيات الفرنسية والأزمة هي جمع إزم أزمات أزوم وتعني الشدة والضيقة ونقول أزمة اقتصادية أو أزمة سياسية ونقول أزم العام أي اشتد قحطه أما من الناحية السياسية تعني حالة أو مشكلة تأخذ بأبعاد النظام السياسي تستدعي اتخاذ قرار لمواجهة التحدي الذي تمثله أما اقتصاديا فيقصد بالأزمة أنها ظاهرة تعبر عن خلل عميق قد وقع في واحد على الأقل من مؤشرات الاقتصاد الكلي أو الجزئي.

مفهوم الأزمة البترولية: يقصد بها تلك الظروف الطارئة والخارجة عن النطاق الناتجة عن ارتفاع أو انخفاض كبير في الأسعار أو وجود شح أو فائض في العرض بشكل حاد وغير طبيعي يؤثر سلبا على الصناعة البترولية واقتصادياتالدول المستهلكة أو الدول المصدرة لهذه المادة الحيوية.

كما تعرف أيضا بأنها ذلك التقهقر والتدني في شتى أنواعه.عبر معظم أرجاء العالم إن هذه الأزمة أدت إلى مخالفات ونتائج وخيمة على الدول الكبرى المدرة للبترول والتي تتبنى اقتصادها على عائدات الموارد البترولية .ولعل أبرز نتائج هذه الأزمة هو العجز الكبير في الميزان التجاري مما يؤدي الى ظروف اجتماعية و سياسية مخيفة في تلك الدول.[3]

أهمية الذهب الأسود:

تكمن أهميته فيما يلي :

- ✓ يستخدم في النقل والمواصلات وإنتاج الزيوت المعدنية والشموع وغير ذلك.

---

[2]محمد أحمد الدوري ، محاضرات في الاقتصاد البترولي ، ديوان المطبوعات الجزائرية للنشر والتوزيع ، 1983،ص15.

[3]حمد محروس إسماعيل ،اقتصاديات البترول والطاقة ، ط1، دار الجماعات المصرية للنشر والتوزيع ،ص54.

- ✓ يعد مصدر مهم في الصناعات البتروكيمياوية.
- ✓ يعتبر البترول من أهم وأنظف مصادر الطاقة عند المقارنة بالوقود النووي والفحم الحجري.
- ✓ يدخل البترول في الصناعات البلاستيكية والألياف الصناعية والألياف والأصباغ.
- ✓ تكمن أهمية البترول في سهولة تخزينه ونقله.
- ✓ وهو مهم في الكثير من الصناعات الحديثة والمتطورة.[4]

الفاعلون في المجال الطاقوي :

الوكالة الدولية للطاقة والكارتل العالمي: تمثل مصالح الدول المستوردة والمنتجة(الولايات المتحدة الأمريكية أوروبا الغربية . الصين .اليابان .أستراليا . الهند).حيث تسيطر الشركات المتعددة الجنسيات أو الشقيقات السبع–مثل:(بريتش.بتروليوم.تيكساكو. شل. توتال. قولف.وال).على مناطق الاستخراج وعلى البورصات وبالتالي هي التي تحدد الأسعار وليست الدول المنتجة.

منظمة الأوبك: تمثل مصالح الدول المنتجة المصدرة(السعودية. إيران .العراق .ليبيا .روسبا .فنزويلا .النرويج. نيجيريا .قطر. أندونسيا .الإكوادور. أنغولا. الجزائر) 13 دولة في المجموع. تأسست في مؤتمر بغداد في العاشر من سبتمبر 1960.توصلت إلى حماية مصالحها وضمان دخل ثابت لها والعمل على استقرار الأسعار في الأسواق العالمية.[5]

نشأة النفط وتطوره : يعتبر النفط من أهم مورد الثروة الاقتصادية في عالمنا المعاصر فقد لعب دورا مؤثرا وفعالا في إعادة رسم الخارطة السياسية الاقتصادية والدولية وتأتي الأهمية الإستراتيجية للنفط باعتباره مصدرا رئيسيا للطاقة ومادة أساسية في العديد من فروع الصناعات التحويلية، كما يعتبر سلعة هامة في التجارة الدولية ومصدر دخل رئيسي للدول المنتجة له وقد عرف الإنسان البترول منذ ألاف السنين لكنه لم يكلف نفسه عناء البحث عليه بل كان يستعمله حيث وجده وعلى الحال الذي وجده عليه، وتذكر الكتب القديمة أن سيدنا نوح عليه السلام استخدم الزفت في تركيب سفينته وقد عرفه إنسان العراق القديم والإنسان في منطقة باكو في الاتحاد السوفيتي والهنود الحمر في قارة أفريقيا الشمالية وفي مصر أيام

---

[4] محمد محروس إسماعيل ،مرجع سابق ،ص30.

[5]محمد محروس إسماعيل ، المرجع نفسه،ص45 .

الفراعنة الذين استخدموه في مواد التحنيط ، وقد كانت معرفتهم له مرتبطة ببعض الظواهر التي شاهدوها من خلال انكسارات و شقوق في الأرض وانسياب تلك المادة، ويؤكد لنا تاريخ الحضارة البشرية استعمال النفط الخام قديما للتشحيم والإنارة ويقال أن أول بئر نفطية هي التي حفرت في جنوب إيران عام 500 قبل الميلاد تقريبا كما يعتقد أن الصينيين كانوا يستخرجون النفط بواسطة أنابيب الخيزران منذ القرن الثالث قبل الميلاد وفي منتصف القرن التاسع عشر زاد الطلب على زيت الصخر بسبب الثورة الصناعية فتوجه عدد من العلماء نحو حزمة من الإجراءات سمحت بإحداث استعمالات تجارية للنفط

أنواع البترول : يتنوع البترول الموجود في الطبيعة بالرغم من كونه مادة متجانسة من حيث العناصر المكونة له إلا أنه يوجد عدة أنواع تتأثر بالخصائص الطبيعية أو الكيمياوية أو بدرجة الكثافة أو اللزوجة؛ فهو يختلف من منطقة إلى أخرى و من بلدة إلى أخرى و حتى داخل الحقل الواحد قد تتواجد عدة أنواع من البترول : المنتجات الخفيفة : منها غاز طبيعي، بنزين الطائرات،بنزين السيارات، الكيروزين . المنتجات المتوسطة :نجد منها زيت الغاز، زيت الديزيل،زيت التشحيم . المنتجات الثقيلة : مثل الوقود ،الإزفلت ،الشمع.

محددات الطلب البترولي في السوق النفطية : يتأثر الطلب البترولي كباقي النشاطات الاقتصادية بعدة عوامل نجد منها :

النمو الاقتصادي العالمي : تعتبر معدلات النمو الاقتصادي المحرك الرئيسي للطلب على الطاقة فقد شهد الاقتصاد العالمي معدل نمو بلغ 4.7% عام 2000 ليرتفع إلى 5.9% عام 2004 و قد صاحب هذا التطور زيادة في الطلب العالمي على النفط ، فقد شهد عام 2000 ارتفاعا في إجمالي الطلب ليصل إلى 75.7مليون برميل يومي ،أما سنة 2004 بلغ إجمالي الطلب على النفط 82.2 مليون برميل يومي ما يعني وجود ارتباط وثيق بين النمو الاقتصادي و إجمالي الطلب البترولي .

الاستقرار السياسي في العالم: يلعب العامل السياسي دورا مهما في التأثير على حجم الطلب البترولي و الذي تكون آثاره واضحة على تغيرات الأسعار ،فالاضطرابات السياسية تكون السبب الرئيسي أحيانا في تقلص الامتدادات النفطية ما يدفع بالدول المستهلكة للتسارع للحصول على كميات معينة بأي سعر تخوفا من نقص في الامتدادات.

المناخ: يلعب البترول دورا هاما في تحديد الطلب البترولي، فبرد الشتاء شديد يؤدي إلى استهلاك متزايد من الطاقة لتدفئة البيوت و المصانع و غيرها. و في العادة يزداد الطلب على النفط في فصل الصيف أيضا يرتفع الاستهلاك العالمي للنفط بسبب العطلة الصيفية و التي تدفع العائلات إلى استهلاك أكبر للمشتقات البترولية كالبنزين...الخ.[6]

يرتبط النفط بعلاقة وطيدة ومنذ زمن بعيد بالأزمات و الصراعات السياسية ويرجع الخبراء هذه العلاقة إلى بداية القرن الماضي و تحديد عام 1914، حيث أضحى النفط محركا أساسيا و مهما في الصراعات الدولية، و بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سجلت أسعار النفط مستويات تصل إلى 100 دولار للبرميل و أصبح النفط أحد أهم الأهداف العسكرية و المقومات الأساسية في رسم الحدود السياسية و الاقتصادية و استمر النفط من أبرز العوامل المؤثرة في السياسة الدولية حيث كان له دور جديد كورقة ضغط في حرب أكتوبر 1973، عندما استخدم العرب النفط سلاحا للضغط على الغرب لإجبار إسرائيل على الانسحاب من الأراضي العربية، و قد أكد استخدام العرب لورقة النفط أهمية هذه السلعة و دورها في العلاقات الدولية بالنسبة لدول الكبرى و منذ ذلك الحين بدأت مسألة تأمين إمدادات النفط تشغل بال الدول الأخرى ولا غرابة إذا قلنا أن ما لحق بالمنطقة العربية من أحداث سياسية طالت عديد الأنظمة العربية و التي أدت إلى زعزعتها و تغييرها كان بسبب هذه المادة الحيوية، و على الرغم من التطور العلمي والتكنولوجي الذي يعرفه المجتمع الدولي اليوم إلا أن التراجع المفاجئ في النفط أحدث صدمة للعالم وخصوصا إيران و روسيا و ذلك بعد أن وصل سعر البرميل إلى مادون 50 دولار و ربما ينبئ ذلك بأزمة اقتصادية سياسية عالمية تلوح معالمها في الأفق و يعتبرها البعض حرب نفطية في سياق تحالف سعودي أمريكي للضغط من خلاله على روسيا و إيران من أجل التنازل في بعض الملفات الدولية.

أسباب الأزمة البترولية:

انكماش الاستهلاك العالمي لضعف الطلب العالمي بسبب الأزمة الاقتصادية :في الوقت الذي يعتقد فيه بعض المحللين بأن الأسعار تتجه نحو الارتفاع بشكل جغرافي بسبب الأزمات و

[6] أحمد رمضان شقلية ،**مرجع سبق ذكره** ،ص33 34 35

الصراعات التي تشهدها مناطق آسيا البلقان و إفريقيا لم تأت التوقعات بالشكل المفترض أن تكون عليه الأمور فقد توقع خبراء النفط أن تصل إلى حدود 120 دولار للبرميل الواحد لكن لم يكن في حسبانهم أن الأسعار ستهوى إلى ما دون 100 دولار حيث واصلت أسعار النفط في التراجع بصورة غريبة لتصل إلى حدود 45 دولار للبرميل و هو أمر غير معتاد في حالات الصراعات و الأزمات الدولية مع وجود التوترات السياسية التي تسود المنطقة العربية خصوصا ما يدعو إلى إعادة تحديد اللاعبين في أسواق النفط و القوى التي تهيمن على السوق و التي تستخدم النفط ورقة للمساهمة و الإخضاع و الضغوط السياسية و مع هذا التراجع المخيف في أسعار الذهب الأسود ارتفعت صيحات المطالبين للأربك بخفض الإنتاج للحفاظ على تماسك الأسعار و هنا يرى الخبراء أن الأمر يعود إلى دخول منتجين غير شرعيين مثل داعش في سوريا و العراق و غيرها من الجماعات و يشير الخبراء إلى أن منظمة OPEK بصفتها الدولية و كونها المنتج لقرابة ثلث النفط العالمي مطالبة بالتحرك العاجل من أجل حماية السوق من التراجع و لتحافظ على مكانتها في هذا السوق بعد ظهور من يحاول سلب مكانتها في الفترة الأخيرة من خلال النفط الصخري و عقد صفقات خلف الكواليس حتى تنهار الأسعار.[7]

العـــقـــوبـــات ضـــد ســـوريـــا،روسيا و إيـــــران : و هنا يرى العديد من الخبراء و المحللين الاقتصاديين و السياسيين أن ما يجري اليوم في أسواق النفط يعد عقابا جماعيا، إذ اتفق منتجوا النفط الكبار في العالم و الولايات المتحدة الأمريكية على خفض الأسعار من أجل معاقبة روسيا اقتصاديا بسبب موقفها من الأزمة في أوكرانيا و دعمها لنظام بشار الأسد و كذلك معاقبة إيران و لم تكن هذه المرة الأولى التي تستخدم فيها سلاح النفط ضد روسيا و إيران بل استخدمتها إدارة الرئيس الأمريكي رونالد ريغن في

---

[7] سوق النفط العالمي بين العرض و الطلب و المتغيرات، مجلة العلوم الاقتصادية، العدد 20 ، ص 2 ، فيفري 2015.

ثمانينات القرن الماضي لإحداث عجز كبير في ميزانيات موسكو و طهران و يشير بعض المحللين إلى أن الهدف السياسي من هذا الانخفاض يبدو جليا للضغط على روسيا لإحداث عجز في موازينها و تمثل مبيعات النفط أهم مصادر الدخل بالنسبة لروسيا و إيران.

و هنا يرى العديد من الخبراء أن استمرار أسعار النفط من مستوياته المتدنية قد يوجه ضعف القوة التفاوضية لإيران مع الغرب بشأن ملفها النووي لما قد يمارسه أسعار النفط إلى جانب العقوبات الاقتصادية حيث اتهمت إيران دولا في شرق الأوسط بالتآمر مع الغرب لخفض أسعار النفط لإلحاق المزيد من الضرر باقتصادها الذي فوضته العقوبات.[8]

ثـورة الـنـفـط الـصـخـري فـي ولايـات الـمـتـحـدة الأمـريـكـيـة :كان للطفرة في مجال النفط الصخري فيما يشهد العالم من تراجع للطلب العالمي على النفط و يرجع العديد من الخبراء في مجال الطاقة ما يشهده العالم من تراجع في أسعار النفط إلى ما تشهده الولايات المتحدة الأمريكية ما يطلق عليه طفرة النفط الصخري حيث عرفت الولايات المتحدة الأمريكية زيادة الإنتاج من النفط الصخري إلى حوالي 5 ملايين برميل يوميا و يقدر لها أن ترتفع إلى عشرة ملايين بحلول عام 2020.

و في هذا الإطار نشرت جريدة تايمز البريطانية مقالا أرجعت فيه هبوط أسعار النفط إلى الطفرة التي تشهدها الولايات المتحدة الأمريكية في إنتاج النفط الصخري وهو ما مكان الأمريكيين معنى الاعتماد على إنتاجهم المحلي بشكل أكبر الاستنفاع معنى النفط المستورد من الخارج ما أدى إلى تراجع الطلب العالمي على النفط إذ أن الولايات المتحدة الأمريكية هي أكبر مستهلك للنفط في العالم.

---

[8] موقع برسن، انخفاض أسعار النفط الأسباب و العواقب، 29/ 11/ 2015.

معاقبة دول عربية : اللافت هنا أن غالبية الدول المنتجة للنفط هي دول نامية و تعتمد على النفط مصدرا رئيسيا في اقتصادها و إعداد مع أزناتها العامة و هنا مكمن الخطورة الشديد حيث ستكون هذه الدول الأكثر تضررا من هبوط أسعار النفط و الذي قد يشكل أزمة لدى كثير من الدول النفطية التي تبني موازناتها على أساس أسعار متوقعة للنفط مثل العراق الذي يعد من أول الدول المتأثرة بهذا الهبوط نتيجة انخفاض صادراته النفطية جراء الوضع الأمني الذي تعيشه البلاد و كذلك ليبيا و هو ما يعني أن هذه البلدان ستواجه أزمات مالية، هذا ما دفع بعض خبراء الاقتصاد إلى التلويح بإيجاد حلول أمنية عاجلة لتفادي الأزمة.[9]

أسباب سياسية :وجود أزمة سياسية كالحروب ،تؤدي إلى انقطاع جزء من الإمدادات التي بدورها تؤدي إلى ارتفاع فاحش في الأسعار وأفضل الأمثلة على العامل السياسي في الأزمات البترولية هو ارتفاع الأسعار في 1980/1979.الناتج عن الثورة الإيرانية.

مقاطعة سياسية :فرض العقوبات بعدم استهلاك منتوج من طرف القوى الكبرى.

العامل المعلوماتي: يتمثل في وجود معلومات غير دقيقة تؤدي الى عدم اتخاذ أي قرار أو اتخاذ قرار خاطئ ، وهذا أو ذاك يؤدي بدوره إلى شح أو فائض في العرض ثم ارتفاع أو انخفاض كبير .وزحما مفاجئا في الأسعار وأفضل الأمثلة على العامل المعلوماتي هو الانخفاض الحاد في الأسعار في 1998والارتفاع الحاد كذلك في عام 2000.

فقد حظي السبب السياسي لازمات البترولية بكثير من التحليل والدراسات ،أما العامل المعلوماتي فقد بإهمال شبه تام.

-التغيير في السلوك الاستراتيجي لمنظمة البلدان المصدرة للنفط الأوبك

---

[9] صحيفة الجريدة الالكترونية، خمسة أسباب تفسر عدم ارتفاع أسعار النفط، ص 20، العدد 2485، 29/ 10/ 2014.

-الهبوط المتواصل في استهلاك النفط في الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة في ظل الاستعانة ببدائل أخرى.[10]

-ظهور ما بات يطلق عليه اليوم بالسوق السوداء للذهب الأسود ، حيث ساهم ظهور التنظيمات الإرهابية في تدهور سوق النفط عالميا من خلال سيطرتها على منابع النفط وبيعه بطرق غير شرعية وبأسعار زهيدة جدا، الأمر الذي أثر بشكل مباشر على السوق النفطية.

- حدوث أزمات وجائحات عالمية تؤثر على الاقتصاد العالمي عموما وعلى الاقتصاد البترولي بشكل مباشر، كأزمة كورونا 2020، حيث أثرت هذه الأزمة على قلة الطلب على هذه المادة الحيوية ومن ثم تهاوت أسعار البترول إلى أسعار غير متوقعة تنبؤ بركود اقتصادي مخيف جدا، رغم الجهود المبذولة من طرف الدول المنتجة للنفط.

نتائج الأزمة البترولية:

- ✓ استخدام تقلبات أسعار النفط بالأسواق العالمية من قبل بعض المنتجين للتأثير والضغط والمساومة على بعض الأنظمة.
- ✓ تراجع الإيرادات النفطية للدول المنتجة للنفط وتعتبر روسيا و إيران من أكبر الدول للنفط التي تتأثر أكثر من غيرهما بانهيار الأسعار في الأسواق العالمية.
- ✓ توقع أن يتراجع مستوى دعم طهران و موسكو لنظام الأسد تحت طائلة الضغوط الاقتصادية و خاصة ارتفاع معدلات البطالة و تضخم الأسعار تأثيرات كبيرة على الاقتصاد الروسي لا سيما مع فقدان الروبل قيمته.
- ✓ تحاول إيران تصدير إنتاجها للنفط عبر التهريب إلى السوق السوداء مثل داعش قيام روسيا و ليبيا في سحب استثماراتها الخارجية.

---

[10] ابراهيم بن عبد العزيز المهن ، الأزمات البترولية والمعلومات ،1يناير 2001 العدد 8070 ،الشرق الأوسط،ص25.

- ✓ إضعاف الموفق الروسي من الأزمة الأوكرانية و حق على سياستها الخارجية بصفة عامة.
- ✓ اعتماد بعض الدول لسياسات تقشفية كالحكومة الجزائرية ،الأمر الذي يخيف الطبقة السياسية و مختلف الفئات الاجتماعية ويمكن أن يحدث أزمات داخلية.
- ✓ اللجوء إلى المديونية أو الاستدانة من الخارج (صندوق النقد الدولي ،البنك العالمي) الأمر الذي يرهن سيادة هذه الدول.[11]
- ✓ أما الدول المستفيدة من انهيار أسعار النفط فهي بلا شك الدول المستهلكة للنفط خاصة الصين و دول جنوب آسيا بالإضافة إلى مصر و المغرب و دول الإتحاد الأوروبي ، حيث تعمل هذه الأخيرة على تخزين كميا كبيرة من الذهب الأسود ، وهو ما أقدمت عليه الولايات المتحدة الأمريكية نفسها حيث أوقفت اكتشافاتها في مجال النفط الصخري و بدأت في تخزين النفط.

الحلول المقترحة للخروج من الأزمة البترولية:

- ✓ التقشف وترشيد النفقات.
- ✓ تنويع مصادر الطاقة .
- ✓ رفع الدعم على بعض المواد الأولية(الماء،الكهرباء...)
- ✓ التوجه إلى قطاعات أخرى بديلة (الزراعة،السياحة، التجارة...)
- ✓ الاعتماد على الطاقات البديلة والمتجددة.
- ✓ تصنيع وتحويل المواد الطاقوية محليا، لتخفيض فاتورة الاستيراد.
- ✓ تسقيف إنتاج وأسعار البترول.
- ✓ تحقيق التوازن بين نظامي العرض والطلب

---

11 لعرباوي نصير، محاضرات في مقياس قضايا دولية ووطنية معاصرة،جامعة محمد لمين دباغين سطيف2018،2017،2.